فبعد هذه الشروح يتّضح معنى النصوص المتلوة التي نقلها كابانس والدكتور ابو خاطر فحملاها على غير مقصودها فكلها تشير الى الامرين الذين سبق ايرادهما اعني خلقة المخلوقات في زمن واحد وتكوين الجراثيم الاصلية التي بتوالي الازمان برزت الى عالم الكون تحت نظارة باريها وبقوّة فعله

ولسنا نقول انّ مذهب القديس اغوستينوس هو المذهب الاصحّ في تفسير تكوين العالم او انهُ خلو من كلّ مأخذ (فانّ هذا يستدعي درساً خصوصيًّا نضرب عنهُ صفحاً) ولكننا نؤكد انّ مذهبهُ بعيد جدًّا عن المذهب الدوويني وانّ اللذين نسبوا اليهِ رأي النشوْ والترقّي حادوا عن الصواب وخبطوا خبط عشواء فعليهم ان يطلبوا لمذهب النشوْ شفيعاً غير القديس اوغستينوس والسلام

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

ألوهيّة المسيح في معجزاتهِ

اثبت السيّد المسيح الوهيّتهُ بقداسة سيرتهِ التي شهد لها اعداؤهُ فضلاً عن تلاميذهِ وتبعتهِ . ذلك ما تحقّقناهُ في الفصل السابق باستقراء اعمال حياتهِ التي وجدناها مرآة اسمى الفضائل وخلاصة كل البرّات

لكنّ الانبياء كانوا سبقوا وقرّروا بان المسيح اذا جاء اجترح المعجزات العظيمة وصنع الآيات الباهرة التي تفرزهُ عن السحاء الكذبة . قال اشعيا (٣٥: ٤-٦): « لا تخافوا . هذا إلهكم .. هو يأتي ويخلّصنا حينئذٍ تنفتح عيون العُمي وآذان الصمّ تتفتّح وحينئذٍ يطفر الاعرج كالايّل ويترنّم لسان الابكم » . وكان في تقليد اليهود ان المسيح سوف يصنع عجائب اعظم من عجائب موسى والانبياء . فكان لا ندحة لمن يدّعي كونهُ المسيح الموعود ومنتظر الامم ان يؤيد قولهُ بصنيع الخوارق والمعجزات

ولا غرو ان المعجزة الصحيحة المتواترة التي تفوق كلّ قوى الطبيعة هي وحدها تستطيع ان تثبت دعوة المرسلين من الله . فانها كالخاتم الملكي الذي يُختم به منشور السلطان ليُعرف انهُ صادر من ديوانهِ فلولاهُ لما امكن المأمورين ان يميّزوا بين رسالة الملك وكتابة احد المشوذين . وما دام الارتياب فلا تتحتّم الطاعة على المرؤوسين ريثما يزول كلّ شكّ بظهور امضاء الملك ووضع خاتمهِ . فكذلك المعجزة هي خاتم الله المثبت لدعوة رسلهِ الصادقين فان لم يأتِ الرسول بآيةٍ لتحقيق رسالتهِ كان خارجيًّا خادعاً او مخدوعاً والذي يقبل دعوتهُ يكون غرًّا جاهلًا

فاذ قام يسوع ابن مريم بين امّتهِ وادّعى انهُ هو المسيح كان لا بُدَّ لهُ ان يثبت قولهُ بالمعجزات ليزيل كلّ ريبٍ في شخصهِ . فهل يا تُرى حقّق يسوع هذا الشرط وافتعل الآيات التي تبيّن انهُ ليس فقط مرسلًا من الله بل الهًا حقًّا كما قال ؟

١ وصف معجزات السيّد المسيح

ان معجزات السيّد المسيح قد اتّصفت بصفات لم تتكيّف بها آيات غيرهِ من الرسل

واوّل ما امتازت بهِ تلك المعجزات عددها العديد الذي كان كافياً لينفي كلّ مكر وخداع ويثبت صحّتها . وقد صرّح الانجيليون غير مرّة بوفرة عددها فذكروها اجمالًا لقصورهم عن تعدادها قال متى (٤ : ٢٣ — ٢٤) : « وكان يسوع يطوف الجليل كلّهُ ... ويشفي كل مرضٍ وضعف في الشعب فذاع خبرهُ في جميع سورية فقدّموا اليهِ كلّ من كان بهِ سوء من المعذّبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمتخرّين في رؤوس الاهلّة والمخلّعين فشفاهم » . ثمّ كرّر مثل هذا القول في مواطن اخرى (٨ : ١٦ ثمّ ١٢ : ١٥) ولاسيما في الفصل الخامس عشر (ع ٣٠ — ٣١) حيث قال : « فدنا اليهِ جموع كثيرون معهم خُرس وعميان وعُرج ومعوّقون وآخرون كثيرون فطرحوهم عند اقدامهِ فشفاهم حتى تعجّب الجموع لانهم رأوا الخُرس يتكلّمون والعُرج يمشون والعميان يبصرون ومجّدوا اله اسرائيل » . ومثلهُ مرقس (١ : ٣٢ و٤٥ ثمّ ٣ : ١٠ — ١٢) ومثلهما لوقا (٤ : ٤٠ — ٤١ ثمّ ٥ : ١٧ ثمّ ٦ : ١١) وهو الذي اعلنا (٦ : ١٩) بانّ « كلّ

الجمع كانوا يطلبون ان يلمسوهُ لأنَّ قوَّةً كانت تخرج منهُ وتُبرئ الجميع » ولم يخالفهم يوحنَّا الذي ختم انجيلهُ بقولهِ (٢٠ : ٣٠—٣١ و٢١ : ٢٥) : « انَّ يسوع اصطنع آيات كثيرة لم تُكتب » وانَّ اعمالهُ « لو كُتبت واحدةً واحدةً لما ظنَّ ان العالم نفسهُ يسع الصُّحف المكتوبة » مشيرًا بهذا الغلوِّ البديعيِّ الى آياتهِ غير المحصاة . وقد افادنا في محل آخر (٧ : ٣١) انَّ كثيرين من الجمع آمنوا بهِ قائلين : « اذا جاء المسيح أفلعلَّهُ يعمل آياتٍ اكثر ممَّا عمل هذا »

وليست معجزات السيِّد المسيح وافرةَ العدد فقط لكنها مختلفة الانواع بحيث لا يستطيع احد ان ينسبها الى علل طبيعيَّة لانَّهُ تبارك اسمهُ في وقت واحد كان يصطنع آيات غاية في الاختلاف اما بمجرَّد لمسهِ او بوضعهِ يديهِ على المرضى او بمسيس ثوبهِ او دون لمس البتَّة بمجرَّد ارادتهِ حتى ولو بَعُد المرضى عنهُ دون ان ينظرهم او ينظروهُ . فهما طلب الملحدون تعليلًا لعجائبهِ لزمهم الاقرار بحبط مساعيهم

وقد ذكر الانجيليُّون بعضًا من هذه الآيات فعدَّدوا منها ٢٨ معجزةً شملت كلَّ قوَّات الطبيعة التي ظفر بها ابن الله فمنها ذلَّل بها الكائنات غير الناطقة فحوَّل الماء خمرًا في عرس قانا (يو ٢ : ١ — ١١) ووفَّر صيد الاسماك لتلاميذهِ مرَّتين بنوع عجيب (لو ٥ : ١ — ١١ ويو ٢١ : ١ — ١٣) واخمد بامرهِ نوْ البحر (مت ٨ : ٢٣ — ٢٧) واوجد في فم سمكةً استارًا لدفع الجزية (مت ٧ : ٢٣—٢٦) ومشى على مياه البحر (مت ١٤ : ٢٣ — ٣٦) وكثَّر الخبزات والاسماك مرَّتين فقات بها ألوفًا من الآكلين (مت ١٤ : ١٥ — ٢١ ثم ١٥ : ٣٢ — ٣٨) وتجلَّى امام تلاميذهِ فكسا نفسهُ بالنور واضاء وجههُ كالشمس (مت ١٧ : ١ — ٩)

وثلاث عشرة معجزة اخرى خصَّ بها الانجيليُّون شفاء الامراض وهي شفاؤهُ لأبرص (مت ٨ : ١—٤) ثمَّ لعشرة بُرص معًا (لو ١٧ : ١٢—١٩) ثمَّ مرَّتين لمخلَّعين (مت ٩ : ١ — ٧ ويو ٥ : ١—١٥) ثم ابرائهُ لليابس اليد (مت ١٢ : ٩—١٣) ثم للمنزوفة بتنزيف دم (مت ٩ : ٢٠ — ٢٢) ثمَّ شفاؤهُ لحماة بطرس من الحمَّى (مت ٨ : ١٤—١٥) ثمَّ فتحهُ لعيني المولود اعمى (يو ٩) ولعيني اعمى بيت صيدا (مر ٨ : ٢٢—٢٦) ولعيون اعميين آخرين قرب اريحا (مت ٢٠ : ٢٩—٣٤) ثم شفاء الاصمِّ الابكم (مر ٧ : ٣٢—٣٧) والملوِّ بداء الاستسقاء (لو ١٤ : ٢—٦)

ثم ابن رئيس كفرناحوم (يو ٤ : ٤٦—٥٤) وغلام قائد المئة (مت ٨ : ٦—١٣)

وثلاث معجزات أخر اقام فيها الموتى اعني ابنة يائير رئيس المجمع (متى ٩ : ١٨ —٢٦) ووحيد ارملة نائين (لو ٧ : ١١—١٧) ثم لعازر (يو ٧ : ١—٤٤)

ويجوز ان تضاف الى هذه الآيات خوارق أخر حدثت بسبب المسيح لتثبت دعوتهُ كظهور الملائكة عند مهدهِ او في عدَّة اطوار من حياتهِ (مت ١ : ١٠ ثم ١ : ١٣ و١٩ ثم ٤ : ١١ ثم ٢٨ : ٢ و٥—ومر ١ : ١٣ — ولو ١ : ٢٦—٣٨ ثم ٢ : ٩—١٥ ثم ٢٢ : ٤٢— ويو ٢٠ : ١٢) وكظهور النجم للمجوس (مت ٢ : ٢) وكصوت الاب يوم عمادهِ (مت ٣ : ١٧ الخ) ويوم تجليهِ (مت ١٨ : ٥) ويوم صلاتهِ في الهيكل الى ابيهِ كي يمجدهُ ابوهُ (يو ١٢ : ٢٨) وكظهور الروح القدس على شكل حمامة في عمادهِ (مت ٣ : ١٦ الخ) وظهور موسى واياياً في تجليهِ على جبل الطور (مت ١٧ : ٣) وكانتشار الظلمة على الارض وقت صلبهِ (مت ٢٧ : ٤٥ الخ) وانشقاق حجاب الهيكل وزلزلة الارض وقيامة اجساد القديسين وظهورهم عند موتهِ (متى ٢٧ : ٥١—٥٤) فكلّ هذه العجائب قد جرت بسبب السيد المسيح وكلُّها تشهد لعزَّتهِ وعلو مقامهِ

ومما يزيد قدْر هذه المعجزات وقوَّة دليلها انَّها لم تجرِ في ظلمة الاجيال السابقة للتاريخ او بين شعب عريق في الهمجيَّة او في القفار ومجاهل البلاد بل حدثت في ازمنة راقية في التمدُّن وسط الشعب اليهوديّ الذي فاق على سواهُ بكتبهِ المقدَّسة وبمعرفتهِ لدين الحقّ وكثرة انبيائهِ الذين عوَّدوهُ على صنيع الآيات وبنظام احبارهِ وكهنتهِ وكتبتهِ ممَّن لا ينخدعون بالشعوذة

وزد عليهِ انَّ المسيح لم يصنع معجزاتهِ خفيةً بل في الشوارع والساحات وفي مدن كبيرة وعلى الجبال وفي هيكل اورشليم حيث كان يحدق بهِ الوفٌ من الناس يلحظون كل حركاتهِ لا يفوتهم شيءٌ منها

وكان بين اولئك الجموع عدد وافر من اعداء المسيح الذين كانوا يرصدونهُ ويتتبَّعون كلّ اعمالهِ ليرموا عليهِ الشكوى ويشهموهُ بالسحر ويهيِّجوا عليهِ القوم منهم الفريسيُّون والهيرودوسيُّون والصدوقيُّون والكهنة ورؤساء الشعب وكلُّهم ناقمون عليهِ لكشفهِ رياءهم وخبثهم وتقريعهِ لكبريائهم وتنديدهِ بطامعهم فلو رأوا

شبهةً في احدى آياتهِ لطعنوا عليهِ جهارًا وطاخروهُ بالمثالب . وقد تجرأ بعضهم فقال عنهُ في الشعب انهُ يصنع تلك المعجزات بقوَّة الشيطان وبواسطة بعلزبوب فلم يأنف السيّد المسيح ان يردّ عليهم ويلقمهم الحجر حتى لم يعودوا الى مثل تلك التهمة (مت ١٢: ٢٦—٢٧ ولو ١١: ١٩)

لا بل زادنا اعداء المسيح ثقةً بعجائبهِ اذ ارادوا غير مرَّة ان يبحثوا عن صحَّة معجزات الربّ ليجدوا فيها مغمزًا فينكروها . وقد صنعوا ذلك خصوصاً عند شفائهِ للضرير الأكمه الذي روى خبرهُ يوحنَّا (ف ٩) فان الفريسيين استنطقوهُ هو ووالديهِ ومن كان يعرفهُ ليعلموا بصحَّة شفائه فانجلى لهم الحقّ كانجلاء الشمس في كبد السماء لكنَّهم صمُّوا الآذان عن صوتهِ واعموا ابصارهم دون نورهِ الساطع فرذل الله امَّتهم

٢ خواصّ معجزات السيّد المسيح

ولعلّ معترضاً يوقفنا عند هذا الحدّ فيقول انَّنا نسلّم بمعجزات يسوع وقد نطق بها القرآن ايضاً فذكر (سورة آل عمران ع ١٣ وسورة المائدة ع ١١٠) انهُ «جاء بالبيّنات وانهُ ابرأ الأكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله» ولكن لم يأتِ بالمعجزات غير المسيح من الانبياء فهو كواحد منهم ولا فضل لهُ على سواهم

كلّا ليست معجزات السيّد المسيح كمعجزات بقيَّة الانبياء بل هي تفوق عليها من عدَّة وجوه

فمن خواصّها انَّها كلّها للرحمة والنعمة على خلاف معجزات الانبياء السابقين فانَّ خوارقهم مقسَّمة بين الرحمة والنقمة . هذا موسى كانت اكبر آياتهِ الضربات العشر التي ضرب بها المصريين وملكهم فرعون بل ضرب بني اسرائيل نفسهم عدَّة ضربات لمَّا اعمل فيهم السيف عند نزولهِ من جبل سينا فرآهم عبدوا العجل فقتل منهم ثلاثة الآف رجل (الخروج ٣٢ : ٢٨) ثمَّ ضربهم ثانية عند فجورهم ببنات موآب فقتل منهم ٢٤,٠٠٠ رجل (سفر العدد ٢٥ : ٩) وضرب قورح وداثان وابيرام مع ١٤,٧٠٠ آخرين يوم عصيانهم عليهِ (العدد ١٦ : ١—٤٩) وغير ذلك من الضربات التي ظهر فيها عدل الله وثبتت سلطة عبدهِ

ومثلهُ ايليًّا الذي ضرب الارض بالقحط ثلاث سنوات (٣ ملوك ١٧ : ١) وقتل انبياء البعل (٣ مل ١٨ : ٤٠) وانزل نار السماء على مئة من الجند الوفدين اليهِ من قبل أحزيا الملك ليسكوهُ (٤ مل ١ : ٩—١٦)

وكذلك اليشاع (٤ مل ٢ : ٢٣—٢٤) لعن باسم الرب ٤٢ صبيًّا هزئوا بهِ فخرجت دبَّتان من الغاب وافترستاهم

اما معجزات السيد المسيح فلا ترى فيها اثرًا للغضب او للانتقام · فلم يضرب احدًا من اعدائهِ بآفةٍ ما بل شفى مرضاهم كما فعل بغيرهم فكذا صنع بابنة يائير رئيس المجمع (مر ٥ : ٢٢ ولو ٨ : ٤١) وردَّ للكس اذنهُ اليمنى التي قطعها بطرس بسيفهِ (يو ١٨ : ١٠ ولو ٢٢ : ٥١) ولم يشأ ان ينزل نار السماء على قرية سامرية لم يقبلهُ اهلها كما طلب ذلك منهُ تلميذاهُ يوحنا ويعقوب بل زجرهما بقولهِ : « لستما تعلمان من اي روح انتما » (لو ٩ : ٥١—٥٥) · وتراهُ في كلّ وقت آلامهِ يحتمل كلّ العذابات كحمل وديع لا يصنع ادنى آيةٍ لينتقم من اعدائهِ بل يصلّي لاجلهم ويطلب لهم المغفرة من ابيهِ السماوي بقولهِ : « انهم لا يدرون ما يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) ومع كثرة ما جرى من المعجزات عند موتهِ لم يُصب باذىً ما احدٌ اعدائهِ · بل كان في حياتهِ لا يريد ان يدين احدًا حتى المرأة الزانية (يو ٨ : ١١) رحمها ولم يحكم عليها (١ وهو القائل (يو ١٢ : ٤٧) : « ان كان احد يسمع اقوالي ولا يحفظها فانا لا ادينهُ لأني لم آتِ لادين العالم بل لأخلّص العالم » وكان اذا اراد ان ينذر البشر بعقوبة يمثلها لهم في النبات او في الحيوان كما فعل لمّا ايبس التينة غير المثمرة (مر ١١ : ١٢—٢١) ولمّا سمح الابالسة ان يدخلوا في الخنازير (لو ٨ : ٣١) · فترى كيف تفوق معجزات السيد المسيح على آيات الانبياء مؤيَّد في شخصهِ الكريم قول النبيّ اشعيا عنهُ (٤٢ : ١—٣ ومت ١٢ : ٢٠) : « هوذا عبدي الذي اعضدهُ مختاري

---

١) ومن العجب انَّ عبد الوهَّاب افندي النشّار في كتابهِ الاخير الموسوم بتاريخ الفحشاء الملو عمًّا على النصرانيَّة لم يخجل بان ينسب رحمة السيّد المسيح نحو الزانية الى تنشيط الفحشاء وهو الذي حذرها من العود الى الخطيئة وكسر سمّ نخوة الفريسيين بحكمتهِ العجيبة . فهكذا يعمي الغرض اصحابهُ

الذي سُرَّت بهِ نفسي قد جعلتُ روحي عليهِ فهو يبدي الحكم للأمم ... قصبةً مرضوضة لا يكسر وكتّاناً مدخّناً لا يطفئ ...)

وقد احسن احمد شوقي الشاعر المصريّ في وصفهِ لرفق السيّد المسيح ورحمتهِ فقال في ديوانهِ (الشوقيّات ص ١٣) :

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى والمروّات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاء
وسرت آيةُ المسيح كما يَسْـ ـسري من الفجر في الوجود الضياء
ملأ الارض والعوالم نورًا فالثرى ماثجٌ بها وسَنَاء
لا وعيدٌ لا صولةٌ لا انتقامٌ لا حُسام لا غزوةٌ لا دماء

ويوجد فرقٌ آخر بين معجزات السيّد المسيح وبقيّة الانبياء وهو انَّ آيات سائر الانبياء محصورة في تذليل بعض العناصر لحكمهم بقوّة الله فهذا يفلق البحر كموسى وذاك يقهر سلطان النار كالفتية الثلاثة فتكفّ عن الحريق وغيره يلجم شراسة الاسود كدانيال فلا تؤذيه . ومنهم من يحيي ولدًا ميتاً كاليشاع او يشفي ملكاً مريضاً كاشعيا او يوقف الشمس في مسيرها كيشوع بن نون الى غير ذلك من العجائب التي روتها الكتب المقدّسة

اما معجزات السيّد المسيح فانّها تناولت الكون باسره فتارةً يغيّر جواهر الكائنات فيحوّل الماء الى خمر وتارةً يوفّرها ويضيفها كما فعل مرّتين لمّا قات الجموع في البرّية فاشبعهم خبزًا وسمكاً . يثور الرياح فتسكن ويجتمد الماء تحت قدميهِ فيسير عليهِ . يأمر الملائكة فتخدمهُ بعد صومهِ . الشمس والقمر يشهدان لهُ عند موتهِ . الموت يردُّ فرائسهُ حتى بعد اربعة ايام من موتهم باسر منهُ . الشياطين تخرج صارخةً امامهُ : حقًّا انت قدّوس الله (مر ١ : ١٤ لو ٤ : ٤١) الماهات كلّها طوع مشيئتهِ لا يعصى عليهِ ايُّ مرضٍ كان . فهيهات ان ترى نبيًّا صنع ما صنعهُ السيّد المسيح

وفي معجزات المسيح خاصّة ثالثة تمتاز بها عن آيات سائر الانبياء فترفع مقامهُ بينهم كرفعة السماء عن الارض . كانت قوّة المعجزات في الانبياء والرسل دون استثناء قوّةً مستعارة وهي في السيّد المسيح قوّة شخصيّة منوطة بذاتهِ الالهيّة

انظر رعاك الله كيف صنع موسى معجزاتهِ . صنعها بدعوة خاصّة من الله اذ

ظهر لهُ وهو يرعى غنم يترو (شعيب) حميهِ في مدين (الخروج ٣: ١٠) واذ حاول ان يتنصّل من هذه الدعوة اكّد لهُ الله انهُ يعضدهُ بقوّتهِ ويصنع على يدهِ المعجزات وكرّر لهُ مرارًا بانّهُ هو تعالى يصطنع الآيات: «امدُد يدي واضرب مصر بجميع آياتي التي اصنعها فيها» وقس على ذلك بقيّة آيات موسى فانّ الربّ هو الذي يرشدهُ الى ضرب البحر بعصاهُ لينجز بنو اسرائيل وهو الذي يتقدّم اليهِ بضرب الصخر لينفجر منهُ المياهُ ويأمرهُ بنصب الحيّة النحاسيّة ليشفى بنظرها الملسوعون. فترى موسى في كلّ هذه المعجزات كآلة في يد الله يصنع ما يُؤمر بهِ

وكذلك بقيّة الانبياء يتوسّلون الى الله متذلّلين كي يُتيح لهم ما يطلبونهُ من الآيات. كما فعل ايليّا لمّا اراد انّ يبعث من الموت ابن ارملة صرفت «فانهُ صرخ الى الربّ قائلًا: أيُّها الربّ لتَعُد روح الغلام الى جوفهِ. فسمع الربّ لصوت ايليّا وعاد الغلام حيًّا» (٣ مل ١٧: ٢١). ومثلهُ صنع اليشع لما اراد ان يقيم ابن الشونميّة (٤ مل ٤: ٣٣) فانهُ لم يباشر العمل الّا بعد صلاتهِ الى الله. لعلمهم جميعاً انهم عبيد الله ليست قوّة العجائب سوى موهبة من فضلهِ

امّا المسيح فانّهُ يتصرّف بقوّات الطبيعة تصرّف السيّد بعبدهِ فيغيّر نواميس الطبيعة كيفما شاء وكلّما شاء بمجرّد ارادتهِ. يقول لهُ الابرص (مت ٨: ٣): «يارب ان شئتَ فانت قادر ان تطهّرني» فيلمسهُ يسوع قائلًا: «قد شئتُ فاطهر». — اتت اليهِ الكنعانيّة تطلب شفاء ابنتها باعيان صارخةً: ارحمني أيُّها الربّ ابن داود. فأجابها: «فليكن لكِ كما اردتِ». — يرى ابن الارملة الوحيد محمولًا الى القبر فيحنّ على امّهِ ويوقف النعش قائلًا للميت (لو ٧: ١٤): «أيُّها الشابّ لك اقول قُم. فاستوى الميت وبدأ يتكلّم فسلّمهُ الى امّهِ». — لا بل يُعدّ الموت امامهُ كالرقاد كما فعل لما دخل بيت رئيس كفرناحوم فنحّى الباكين قائلًا: «تنحّوا انّ الصبيّة لم تَمُت ولكنها نائمة. فضحكوا منهُ فلمّا اخرج الجمع دخل واسلك بيدها فقامت الجارية» (مت ٩: ٢٤—٢٥). — سأل الاعميين الطالبين شفاء بصرهما: هل تؤمنان انّي اقدر ان افعل ذلك. فقالا لهُ: نعم يارب. حينئذٍ لمس اعينهما قائلًا: كايمانكما فليكن لكما»

فترى في كلّ هذه المعجزات انّ المسيح لا ينسب قوّتهُ الى غيرهِ لعلمهِ بانّ تلك

القوة كما تصدر من شخصه الكريم فلا يحتاج الى ان يلتمس من الله نعمة العجائب الكائنة في ذاته . وربما كانت تلك القوة تصدر منهُ بمجرد لمس ثوبهِ كما جرى للمرأة ذات النزيف الدم التي قالت في نفسها (مت ٩ : ٢١) : « ان مسستُ ثوبهُ فقط برئتُ » فلما مسَّت طرف ثوبهِ برئت وكذلك فعل اهل جنَّاسر قال متى (١٤ : ٣٥—٣٦) : « فعرفهُ اهل ذلك المكان . . . فأتوا اليهِ بكل من بهِ مرض وسألوا ان يلمسوا ولو طرف ثوبهِ فكل من لمسهُ برئ » . بل كان يأمر العاهات فتطيعهُ كما فعل لما دخل بيت سمعان ووجد حماتهُ ممنوَّة بحُمَّى شديدة « فزجر الحُمَّى ففارقتها » كما انتهر الرياح والبحر مرَّة أخرى « فحدث هدوء عظيم وتعجَّب الناس قائلين : ايّ انسان هذا فانَّ الرياح والبحر تطيعهُ » (مت ٨ : ٢٦—٢٧) . — وتلك القوَّات الخارجة منهُ كانت تصيب البعيدين كالقريبين كما فعل لابن رئيس الملك فابرأهُ عن بُعد وقال لوالدهِ : « امضِ ان ابنك حيٌّ » فكان كذلك

وزيد على هذه الخواصّ الثلاث خاصَّة رابعة امتازت بهِ معجزات المسيح عن عجائب كلّ الانبياء سواهُ وهي كون المسيح اورث تلامذتهُ تلك القوَّة العجيبة فاعطاهم ان يصنعوا المعجزات . فان من راجع اسفار العهد العتيق يجد بين أولياء الله كثيرين قد اقترفوا الآيات واتوا بالعجائب ولكن لسنا نجد واحدًا اورث هذه الموهبة ذويهِ وتلامذتهُ الَّا السيّد المسيح الذي منح هذه النعمة تبعتَهُ مدَّة حياتهِ واورثهم اياها بعد موتهِ . قال متى (١٠ : ١) : « ودعا تلاميذهُ الاثني عشر واعطاهم سلطاناً على الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كلّ مرض وضعف » وافاد مثلهُ لوقا (ف ١٠ : ١—١٩) ان يسوع ارسل اثنين وسبعين من تبعتهِ وارصاهم « ان يشفوا المرضى » وانهم لما عادوا قالوا لهُ : « يارب ان الشياطين ايضاً تخضع لنا باسمك » . . ومما قالهُ اذ ذاك : ها انا قد اعطيتكم سلطاناً ان تدوسوا الحيَّات والعقارب وقوَّة العدوّ كلها وليس شيء يضرُّكم »

وبعد قيامتهِ جدَّد لهم تلك الموهبة واورثها في شخصهم لكنيستهِ حيث قال (مر ١٦ : ١٥—١٨) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان . وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين ويتكلَّمون بألسنة جديدة ويحملون الحيَّات وان شربوا شيئاً مميتاً فلا

يضرُهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » لا بل وعدهم بانهم يصنعون عجائب اعظم من عجائبهِ قائلًا (يو ١٤ : ١٢) : « الحقّ الحقّ اقول لكم انّ من يؤمن بي يعمل الاعمال التي انا اعملها ويعمل اعظم منها »

ولعمري لم تكن هذه المواعيد عرقوبيَّةً فمنذ عهد الرسل الى اليوم لا تزال موهبة العجائب والمعجزات تتبع الكنيسة الكاثوليكيَّة وتشهد لمنشئها الالهيّ وما كاد السيّد المسيح يصعد الى السماء حتى جعل تلاميذهُ يصنعون المعجزات باسمهِ فانَّ بطرس هامة الرسل قال الاعرج من بطن امهِ (اعمال ٣ : ٦) : « باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ » فبرئ من ساعتهِ . وتعدَّدت العجائب على يدهِ حتى انَّ ظلَّهُ فقط كان يشفي المرضى من كل علتهم (اع ٥ : ١٥) . وقد بقيت هذه العطيَّة في الكنيسة حتى ايَّامنا وقد رأى العالم منها في عهدنا عددًا لا يُحصى في لورد وفي لالوفي (La Louvesc) وفي ارس ولم ينقطع نسل القديسين وفاعلي العجائب كفى ان نذكر منهم دون بوسكو (Don Bosco) والقانوني كوتولنغو (Cottolengo) والخوري ڤيانه خوري ارس (B^eux Vianney, Curé d'Ars) فانَّ معجزاتهم العجيبة قد شهدها في زماننا الوفٌ ومئات الوف من البشر الذين انابوا الى الله بسببها بالتوبة الصادقة . فسبحان الذي اعطى سلطاناً كهذا لبني البشر

نبوَّات السيد المسيح

ومما يحقُّ لنا بان نضيفهُ الى معجزات السيد المسيح نبوَّاتهُ التي سبق وانبأ بها عن امور قد تمَّت كما دلَّ اليها . وهذه النبوَّات اوفر عددًا من نبوَّات غيرهِ من الانبياء . واوضح معنىً وأثبت حلولًا مع قرب وقوعها

١ فمن ذلك انَّهُ سبق وانبأ بآلامهِ مفصَّلًا لكل ما سيحلّ بهِ من خيانة احد تلامذتهِ (يو ٦ : ٧١ و١٣ : ٢٦ الخ) وهرب تلاميذهِ (مر ١٤ : ٢٧ الخ) وجحود بطرس المثلَّث (مت ٢٦ : ٣٣ — ٣٥ الخ) ومحاكمتهِ لدى الرومانيين (مت ٢٠ : ١٩ ولو ١٨ : ٤) وما سيلحق بشخصهِ من الاهانات والجلد والصلب والموت (مر ٨ : ٣١ و٩ : ٣١ و١٠ : ٣٤ ولو ٩ : ٢٢ ويو ٣ : ١٤ و٨ : ٢٨)

٢ تنبَّأ عن قيامتهِ وضرب لها مثل يونان النبيّ في بطن الحوت ثلاثة ايام (مت

١٢ : ٤٠ و١٦ : ٤ و٢١ ثمَّ لو ٩ : ٢٢ و١١ : ٢٠ — الخ) وهذه النبوءة شاعت حتى انَّ اعداءهُ بعد موته رووها عنهُ لبيلاطوس (مت ٢٧ : ٦٣)

٣ سبق واشار الى صعودهِ الى السماء مرَّتين (يو ٦ : ٦٢ ثم ٧ : ٣٤)

٤ تنبَّأ عن حلول الروح القدس على التلاميذ بعد صعودهِ (لو ٢٤ : ٤٩ ويو ١٤ : ١٦ و٢٦)

٥ سبق واعلم تلاميذهُ بما سيحلُّ بهم بعد صعودهِ من الاضطهادات لاجل اسمهِ (مت ١٠ : ١٧ ومر ١٣ : ٩ ولو ٢١ : ١٢) مع نشرهم لانجيلهِ والشهادة له في العالم اجمع (مر ١٣ : ١٠)

٦ وصف ما ستلقاهُ كنيستهُ في الاجيال المقبلة من المقاومات مع فشل ابواب الجحيم عنها (مت ١٦ : ١٨)

٧ تنبَّأ لبطرس وخلفائهِ بثبوت ايمانهم الى منتهى الاجيال (لو ٢٢ : ٣٢)

٨ تنبَّأ عن خراب اورشليم على يد الرومانيين مفصِّلاً لكل ظروف محاصرة المدينة المقدَّسة مع ما سيحلُّ فيها من الحروب والمجاعات والزلازل (مت ٢٤ : ٤ — ٤٠ ومر ١٣ : ٥ — ١٠ ولو ٢١ : ٨ — ١٢)

٩ صرَّح بخراب هيكل اورشليم مؤكدًا بانهُ لن يبقى منهُ حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢ ومر ١٣ : ٢ ولو ٢١ : ٦)

وكلُّ هذه النبوَّات التي ما كانت لتخطر على ذهن بشر قد تمَّت بالحرف بعد زمن قليل كما تشهد عليهِ الاناجيل عينها او سفر اعمال الرسل او رسائل القديس بولس او تواريخ المعاصرين كيوسيفوس اليهودي في كتابيهِ العاديات اليهودية والحرب اليهودية وكتابات الآباء الاولين كاغناطيوس وايريناوس . وبعض هذه النبوَّات لا يزال كلَّ يوم يزيد صراحةً وحجَّة . كانتصار الكنيسة من كلِّ اعدائها وعصمة الحبر الروماني بحيث يصحُّ فيهما كلَّ ساعة آخرُ قولِ المسيح لتلاميذهِ قبل صعودهِ الى السماء (مت ٢٨ : ٢٠) : « ها انا معكم كلَّ الأيام الى منتهى الدهر »

٣ لاهوت السيِّد المسيح في معجزاتهِ

انَّ المعجزات والنبوَّات التي سبق لنا ايرادها مع بيان خواصها المميِّزة لصاحبها عن

كلّ الانبياء والرسل تقودنا الى نتيجة لا مناص منها اعني اثباتها لألوهيّة السيّد المسيح فنقول:

(اوّلاً) بيّنّا في مقدّمات مقالاتنا من نصوص العهد العتيق لا بل من اقوال الربّانيين انفسهم انّ المسيح منتظَر الامم ليس هو انساناً محضاً بل الهاً ايضاً. والحال قد ثبت انّ يسوع ابن مريم هو وحدهُ ذاك المسيح وانّهُ ليس فقط اتمّ ما ورد عنهُ من النبوّات فحقّقها في شخصهِ الكريم ولكن اصطنع ايضاً المعجزات الصحيحة لاثبات هويّتهِ فهو اذن إله ليس في لاهوتهِ شكّ ما لم تُنكَر تلك المعجزات او يزعم الزاعم انّ الله أيّد المكر والكذب بسلطان المعجزات وكلاهما مستحيل كما ترى

(ثانياً) انّ من يرضى بصحّة الاناجيل وعدم تحريفها — ولا بُدّ لكلّ عاقل ان يسلّم بهما كما قرّرنا في مقالات سابقة — ينبغي عليهِ ايضاً ان يصادق على كون المسيح هو اله وابن الله

وذلك انّ الملاك جبرائيل ببشارتهِ للعذراء صرّح لها بانّ المولود منها « ابن العليّ يُدعى » (لو ١ : ٣٢) وانّهُ « القدّوس وابن الله » (١ : ٣٥) وكذلك اليصابات دعت مريم « امّ ربّها » (١ : ٤٣) — ولمّا جرّب ابليس السيّد المسيح في البرّيّة لم ينكر عليهِ الربّ قولهُ « ان كنتَ ابن الله » (لو ٤ : ٣) وانّما خذلهُ لسبب آخر اذ كان يعرض عليهِ الاعمال الباطلة — وكذلك لم يزجر المسيح نثنائيل لمّا قال لهُ : « انت ابن الله انت ملك اسرائيل » (يو ١ : ٤٩). ثم رضي ايضاً بقول تلاميذهِ بعد صيدهم العجيب (مت ١٤ : ٣٣) اذ « جاؤوا وسجدوا لهُ قائلين: بالحقيقة انت ابنُ الله » ومثلهم مرتا بعد وفاة اخيها اذ قالت لهُ (يو ١١ : ٢٧) : « انا مؤمنةٌ انّك انتَ المسيح ابن الله الآتي الى هذا العالم » — فكلّ هذه الاقوال لو لم يكن المسيح الهاً لكانت تجاديف ينبغي عليهِ ان ينتقدها ويزجر القائلين بها ويصرّح بكونهِ ليس هو الهاً ولا ابن الله. فاذ لم يفعل فذلك دليل واضح على انهُ هو اله وابن الله حقّاً

(ثالثاً) ولم يسكت فقط السيّد المسيح عن المعترفين بلاهوتهِ بل اثنى عليهم كما فعل مع بطرس حامل الرسل اذ اعترف بهِ صريحاً بقولهِ (مت ١٦ : ١٥) : « انتَ المسيح ابن الله الحيّ . فاجابهُ يسوع بقولهِ : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانهُ ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات ». فلو لم يكن

المسيح ان الله والهاً معاً لاقترف اثماً فظيعاً يستوجب الموت بثنائه هذا على كفر بطرس فهيهات ان يؤيد الله لمعجزات زنديق مثله يغرّ الناس بسكوته عن شططهم

(رابعاً) لا بل دعا السيد المسيح نفسهُ بابن الله صريحاً فانهُ بعد ان ابرأ الأعمى منذ مولده قال لهُ يسوع : اتؤمن انتَ بابن الله . فاجاب وقال : من هو يا سيد لأؤمن بهِ : فقال لهُ يسوع : قد رأيتهُ وهو الذي يتكلمك . فقال لهُ : قد امنتُ يارب وسجد لهُ »

واعظم من هذا شهادتهُ العلنيَّة الرسميَّة امام محفل اليهود وكبير احبارهم لمَّا اجتمعوا ليلاً ليحكموا عليهِ بالموت واذ لم يجدوا في الشهادات الزور سبباً كافياً للحكم عليهِ سألهُ قيافا رئيس الكهنة مستنشداً بالله (مت ٢٦ : ٦٣) : « أقسم عليك باسم الله الحيّ ان تقول لنا هل انتَ المسيح ابن الله . فقال لهُ يسوع : انتَ قلت ». وكرّر هذه الشهادة مرَّة ثانية في صباح يوم موتهِ اذ « قال لهُ الجميع : أفأنت ابنُ الله . فقال لهم : انتم تقولون اني انا هو » (لو ٢٢ : ٧) . واثبتوا ذلك امام بيلاطوس حيث بيَّن لهم انهُ بريء لم يجد فيهِ موجباً للموت فصرخوا (يو ١٩ : ٧) : « انَّ لنا ناموساً وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت لانهُ جعل نفسهُ ابن الله »

فكلّ هذه الآيات تبيّن صريحاً انَّ المسيح اعلن بكونهِ ابن الله جوهرياً لا مجازاً لانهُ لو كان ذلك على طريقة المجاز كما يقال لكلّ البشر انهم ابناء الله لما رأى احد في قولهِ شيئاً ملوماً

(خامساً) وكما ادَّعى المسيح انهُ ابن الله اعلن ايضاً بانهُ اله بطرائق شتى فانهُ تارةً يؤكد بانهُ « الربّ والمعلم » (يو ١٣ : ١٣ — ١٤) وتارةً يصرّح بانهُ اعظم من موسى (مت ١٩ : ٨—٩) ومن سليمان ويونان (مت ١٢ : ٤١ — ٤٢ ولو ١١ : ٣١—٣٢) وحيناً يُعلن بأنهُ كان قبل ابراهيم « الحقّ اقول قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٥٨) وانَّ ابراهيم كان يبتهج ان يرى يومهُ فرآهُ وفرح (٨ : ٥٦) . ولم يكتفِ بان يقول عن نفسهِ انهُ مرسل من الآب (يو ٥ : ٣٦—٣٧ و٦ : ٣٠ ، ٤٠ و٨ : ١٦—١٨ الخ) بل دعا الله اباهُ (لو ٢ : ٤٩ ويو ٢ : ١٦ و٥ : ١٧ و٨ : ٢٧ الخ) لا بل يقول صريحاً لليهود (يو ١٠ : ٣٠) : « انا والآب واحد ». فايّ تجديف اعظم من هذا لو لم يكن المسيح الهاً

(سادساً) وقد صنع المسيح كثيراً من معجزاتهِ رأساً ليثبت انهُ إله فنقض السبت وعمل فيهِ الآيات ليقنع الفريسيين بانهُ « ربُّ السبت » (مت ١٢ : ٨ مر ٢ : ٢٨ لو ٦ : ٥). ظن الخطايا كإله واذ رأى اليهود في هذا العمل تجديفاً قائلين : من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله . فللوقت صنع آية ليثبت كونهُ الهاً « فلكي تعلموا انَّ ابن البشر لهُ سلطان على الارض ان يغفر الخطايا قال للمخلَّع : لك اقول : قم احمل سريرك واذهب الى بيتك » . وهذه السلطة الالهيَّة قد منحها لتلاميذهِ بقولهِ (يو ٢٠ : ٢٢) : « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » — واذ سألهُ تلاميذ يوحنَّا أهو المسيح المنتظر اكتفى بان يشير الى معجزاتهِ دلالةً على انَّهُ حملُ الله الذي اشار اليه معلمهم (يو ١ : ٢٢) — ولمَّا اراد اليهود ان يرجموهُ لزعمهم انَّهُ جدَّف قال لهم يسوع : « اني اريتكم اعمالاً كثيرة حسنة من عند الآب فلاي عمل منها ترجموني . فاجابهُ اليهود : انَّنا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن للتجديف ولانك تجعل نفسك الهاً وانت انسان » فكان جواب المسيح : « ان لم اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي . . فان لم تريدوا ان تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لتعلموا وتؤمنوا انَّ الاب فيَّ وانا في الاب (يو ١٠ : ٣٦—٣٨) » . وقد كرَّر ذلك مراراً مؤكداً انَّ معجزاتهِ تدلُّ على لاهوتهِ — ولمَّا صنع تلك المعجزة الفائقة لمعجزات كلّ من سبقه اعني اقامة لعازر بعد موتهِ باربعة ايام صرَّح بانَّهُ يفعل ذلك لاثبات لاهوتهِ وانهُ هو القيامة والحياة (يو ١١ : ٢٣,٤١) . فهذه كلها شواهد لا يمكن نقضُها تدلُّ على انَّ معجزات السيد المسيح مثبتة الاهوتهُ بلا محالة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Drei arabische Quellenwerke über die 'Aḍḍâd mit Beitraegen von P. A. Salhani, und einem spaetarbischen 'Anhange herausg. von Dr Aug. Haffner, *Beirut, Impr. Catholique,* 1913, pp. XVIII-282

ثلاثة كتب في الاضداد للاصمعيّ وللسجستانيّ ولابن السكيت مع ذيل للصغانيّ

من قلَّب معاجم اللغة الكبيرة كلسان العرب والقاموس والتاج والصحاح اخذهُ العجب من كثرة استشهاد اصحابها بائمة اللغويين كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد